

ويل للقائلين للشر خيراً، وللخير شراً (إشعيا ٣٠: ٥)

البياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

نشرت جريدة النهار في ٢٠٠٠/١/٣١ تحت عنوان "مجلس الكنائس يهنئ المسلمين بالأضحى" البيان التالي: "وجه الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط القس رياض جرجور، رسالة إلى المسلمين هناهم فيها بعيد الأضحى. وقال: "عيد الأضحى هو عيد الإيمان المطلق بالله الواحد الأحد، والتضحية بأعلى ما عند الإنسان استسلاما كلياً لمشيئته تعالى. العيد هذه السنة يأخذ معنى خاصا إذ يتزامن مع الإفراج عن عدد من أسرانا المقاومين الأبطال من سجون العدو الإسرائيلي وعودة رفات مقاومين آخرين قضوا فداء عن أرضنا وأهلنا وأوطاننا. فمع عودتهم نأمل في أن نستكمل عودة الباقين في السجون الإسرائيلية. ونعتبر اخوتنا هؤلاء مثالا للتضحية الإبراهيمية التي يحتفي بها عيد الأضحى المبارك. وتستحثنا هذه التضحية على أن نستجمع قوانا ونوحد طاقاتنا فنقدم لله ائمن ما عندنا فداء عن اخوتنا الذين يعيشون معاناة ظلم وقهر واستبداد. إننا نسأل الله أن ينصرنا بالحق والعدل، ويعضدنا بالإيمان والرجاء، وينعم على منطقتنا بالسلام."

إن أي مسيحي ملم بتعاليم الإنجيل المقدس، حتى ولو بقدر متواضع، لا بد وأنه أصيب بالذهول "اللاهوتي" وهو يقرأ هذا البيان. فلولا عنوانه الذي يشير إلى صدره عن مجلس الكنائس لكان جزم القارئ انه من فبركة إحدى مراكز المخابرات السورية في لبنان!!! قبل البدء بتشريح محتوى هذا البيان من الناحية "الإنجيلية" البحتة، وهو عمل قد لا يُعجب الكثيرين، نؤكد تأييدنا الكامل للهدف الأساسي النبيل من وراء إصداره، أي التهنئة بعيد الأضحى، فهذا واجب أخلاقي وقيمي، واعتراف بالآخر وبتقوسه الإيمانية، وتواصل مع الشريك في الوطن والمصير. أما المفردات الخشبية من "بطولة ومقاومة وفداء وتحرير وعداء واستكمال انتقائي لعودة أسرى دون غيرهم" التي تم حشوؤها فقد جردت البيان من غايته النبيلة وأفرغته من محتواه "اللاهوتي"، وأبعدته عن جوهر التعليم المسيحي.

في هذا المقال سوف نحاول تبيان محتوى البيان والإشارة بمحبة وصراحة متناهيتين إلى كل ما ناقض فيه جوهر التعليم المسيحي، معتمدين فقط الإنجيل المقدس، مركزين على العناوين التالية: *الكلمة في الإنجيل، *مفهوم المسيحية للعداء، *الناموس ومقامات الناس، *الشهادة للحق، *الخوف والظلم، *الانتقائية والتفرقة، *التقية والذمية:

الكلمة في الإنجيل

إن المسيحي، الذي يستهين بالكلمة ويستعملها سلاحاً للتقية والذميمة والتزوير والتملق والاستجداء بنتيجة الخوف أو سعياً وراء منفعة ما، فإنما هو يعتدي على الله ذاته وعلى قدسية الكلمة وعلى تعليم كتابه المقدس، وهذا أمر واضح في الآيات التالية:

*"فِي الْبِدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكََلِمَةُ كَانَتْ لَدَى اللَّهِ. وَالْكََلِمَةُ هُوَ اللَّهُ، كَانَتْ فِي الْبِدْءِ لَدَى اللَّهِ. بِهِ كَانَتْ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِدُونِهِ مَا كَانَ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يوحنا ١/١-٣).

*"الْكَلِمَةُ هُوَ النُّورُ الْحَقُّ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ" (متى ١/١٠).

*"أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَاطِلَةٍ يَقُولُهَا النَّاسُ يُحَاسِبُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ الدِّينِ. لِأَنَّكَ تُرَكِّي بِكَلَامِكَ وَبِكَلَامِكَ يُحْكَمُ عَلَيْكَ." (متى/٣٦-٣٧).

كما أنه يتوجب على المسيحي أن يلجم لسانه للحفاظ على إيمانه، والقديس يعقوب قال في هذا الشأن: " إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَظُنُّ أَنَّهُ دِينٌ وَهُوَ لَيْسَ يُلْجِمُ لِسَانَهُ بِلِ بَخْدَعِ قَلْبِهِ فِدْيَانَةٌ هَذَا بَاطِلَةٌ. (رسالة القديس يعقوب ١/٢٦)

من هنا نستنتج إن ما جاء في البيان عن طريق الكلمة هو تعدٍ على قدسيتها لأنها استعملت للتفرقة والانقسام والظلم. فالبيان في حين تعاطف مع فئة ممن ساهم "مقاومين ومحررين وأسرى" متمنيا عودة من يعد منهم بعد، هو تعامى عن مأساة فئة ثانية لم يأتِ على ذكرها وكأنها غير موجودة وليست من رحم الوطن. لذا نسأل أصحاب البيان، ماذا عن المعتقلين اعتباراً في السجون السورية، وماذا عن المئات من الجنوبيين القابعين في السجون اللبنانية ظلماً وعدواناً، أولئك الذين طعنوا في كرامتهم ووطنيتهم؟ وماذا عن الآلاف منهم الذين أجبروا على الفرار إلى إسرائيل ولا يزالون فيها؟ وماذا عن المئات من الجنوبيين الذين قضاوا وهم يُدافعون عن أرضهم وممتلكاتهم وأعراضهم في وجه الياجوج والماجوج من الغرباء وحاملي لواء الأصولية طوال ٢٥ سنة، كانت خلالها الدولة متخفية عنهم كلياً؟

مفهوم العداة في المسيحية

أما قول البيان بعداء مجلس الكنائس "المطلق" لطرف من الأطراف ولشعب من الشعوب، فهذا تناقض تام لتعاليم الإنجيل ونكران واضح لجوهر الدين المسيحي، لأن لا عداة ولا عداوة في الناموس المسيحي، بل بشارة وغفران ومحبة، وهذا بعض ما جاء في الإنجيل:

*"أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَصَلُّوا مِنْ أَجْلِ مُضْطَهِّدِكُمْ لِتَصِيرُوا بَنِي أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متى ٥/٤٤-٤٥).

*"لَا تَدِينُوا لِنَيْلِ تَدَانُوا، فَكَمَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَيَكُلُّ لَكُمْ بِمَا تَكِيلُونَ" (متى ١: ٦-٢).

*"أَنَّهُ قِيلَ: الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ". أَمَا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: "لَا تُقَاوِمُوا الشَّرِيرَ، بَلْ مِنْ لَطَمِكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، فَأَعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ" (متى ٥/٣٨-٣٩).

الناموس ومقامات الناس

قد يُبرر البعض خروج البيان عن تعاليم الإنجيل بضرورة "مسايرة" القوى المهيمنة على البلد، واحترام مقامات الحكام وأصحاب الشأن، وتجنب المواجهة غير المتكافئة كما المحافظة على المصالح. الرد سنستعيده من الإنجيل، بقول الفريسيين للمسيح:

*"يا مُعَلِّمَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ، تُعَرِّفُ سَبِيلَ اللَّهِ بِالْحَقِّ، وَلَا تُبَالِي بِأَحَدٍ، لِأَنَّكَ لَا تُرَاعِي مَقَامَ النَّاسِ" (متى ٢٢ / ١٥-١٦).

ويرد بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية:

*"أتراي أستعطفُ الناسَ أم أستعطفُ الله؟ أَلَعَلِّي أَتَوَخَّى رِضَا النَّاسِ؟ فلو كُنْتُ إِلَى الْيَوْمِ أَتَوَخَّى رِضَا النَّاسِ، لَمَا كُنْتُ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ." (غلاطية ١ / ١٠)

الشهادة للحق

ولأن المحبة التي هي أهم وصايا الشريعة، لا تفرح بالظلم، بل تفرح بالحق، ولأن المسيح شهد للحق ومن أجله صلب، وهو القائل:

*"لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يُحب بعضكم بعضاً، لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس" (رومية ٨ / ١٣)،

*"إن تثبتوا أنتم في كلمتي تكونوا حقاً تلاميذي، وتعرفون الحق، والحق يحرركم" (يوحنا ٨ / ٣١)

من أجل هذا إن ما ورد في البيان لم يشهد للحق، بل زوره مستعملاً الكلمة، وهنا المعصية الكبرى بحق الشريعة والكتاب.

الخوف والظلم

كما أنه قد يبرر البعض الآخر هذا التعدي على الشريعة بالخوف والمحاباة، إلا أن المؤمن الحق لا يخاف قول الحقيقة والشهادة لها، وهو لا يحابي كائن من كان إن كان إيمانه راسخ وصادق، فالمسيح كسر قيود الخوف وحرر الخائفين. أما ظلم القيمين على الشريعة فقد تناوله النبي إشعيا الذي قال:

*"شعبي ظالموه أولادٌ ونساءٌ يتسلطن عليه. يا شعبي مرشدوك مُضِلُّونَ وَيَبْلَعُونَ طَرِيقَ مَسَالِكِكَ" (اشعيا ٣ / ١٢)

إن من يخاف ويظلم ويخدع قلوب البسطاء فهو لا يخدم المسيح، والرسول بولس تناول هذا الشأن بقوله:

*وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاكات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتوه وأعرضوا عنكم، لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح، بل بطونهم وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب البسطاء" (رومية ١٦-١٧).

الانتقائية والتفرقة

الناموس المسيحي لا يعرف التفرقة والانتقائية في التعامل مع البشر، والبيان كان انتقائياً وفرق بين الناس، فهو تناول معاناة مجموعة، وتعامى عن معاناة مجموعة أخرى. قال عن مجموعة كلاماً لا يجب عن يقال، ولم يقل عن مجموعة أخرى كلاماً كان يجب أن يقال. بربكم والحال على ما هي عليه كيف يستطيع المؤمنون أن يلتزموا تعاليم الإنجيل وما جاء في هذا السياق في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيقي؟:

*تسألكم أيها الإخوة، أن تكرموا الذين يجهدون بينكم ويرعونكم في الرب وينصحون لكم، وأن تعظموا شأنهم فتبدوا لهم منتهى المحبة من أجل عملهم. عيشوا بسلام فيما بينكم وناشدكم أيها الإخوة أن تنصحوا للمفسدين وتشجعوا الخائفين وتعضدوا الضعفاء وتصيروا على جميع الناس. احترسوا أن يُجازي أحدُ شرّاً بشراً، بل ليطلب الخير دائماً بعضهم لبعض واطلبوه لجميع الناس". (تسالونيقي ١٢/٥ - ١٥).

أترى التزم معدو البيان بما جاء في رسالة القديس بولس إلى أهل رومة:

*"باركوا مُضطهديكم، باركوا ولا تلعنوا. إفرحوا مع الفرحين وابكوا مع الباكين، كونوا متفقيين، لا تطمعوا في المعالي، بل ميلوا إلى الوضع"؟ (رومة ١٢/١٥-١٦).

التقية والذمية

لا تقية ولا ذمية في الدين المسيحي، بل وضوح وشفافية ونور يشع على الآخرين وانفتاح، وهذا ما ركز عليه القديس متى بقوله:

" لا تخافوهم إذاً فما من مستور إلا سيكشف، ولا من مكتوم إلا سيُعلم، والذي أقوله لكم في الظلمات، قولوه في وضوح النهار، والذي تسمعونه يُهمس في آذانكم، نادوا به على السطوح" (متى ١٠ / ٢٦-٢٧)

اليوم وبعد أن تم فضح أمر المرسوم رقم ١١٢٦٥ - تاريخ ٣٠ تشرين الأول، ٢٠٠٣ القاضي بإحالة مجلس الوزراء مشروع قانون على مجلس النواب يجيز انضمام لبنان إلى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيكو)، وهو فعل إجرامي يتناقض مع مكونات الحياة الثقافية والاجتماعية في لبنان ودور لبنان التاريخي في الشرق الأوسط ط كبلد متعدد الثقافات والحضارات، ويلغي المسيحيين ثقافياً وحضارياً، فهل من موقف لمجلس الكنائس يرقى إلى مستوى الفعل؟ يشار هنا إلى أن الموقف الواضح الوحيد المندد بهذه الهرطقة كان

صدر عن الكنيسة المارونية من خلال رسالة الصوم الكبير التي وجهها غبطة البطريرك صفير إلى الموارنة يوم الجمعة بتاريخ ٢١/٢/٢٠٠٤، علماً أن السيد نبيه بري، رئيس مجلس النواب في لبنان جمد المرسوم - المشروع واعتبره مخالفاً لمبدأ التعايش القائم عليه النظام اللبناني.

نسأل عن سبب عدم صدور أي تعليق على محتوى البيان أعلاه، أو على مشروع الانضمام إلى الـ "ايسيكو" من قبل الكنائس ومجلسها، والتجمعات والأفراد الذين يُفترض أنهم من حملة الشريعة والناموس، ومن رافعي راية الحق والشهادة له!! غير أن الفرصة لم تفت بعد ولم يزل هناك متسعاً من الوقت لمراجعة المواقف ووضعها على الطريق القويم، ورفع الصوت عالياً ولو للتنبيه فقط، ومن عنده أذنان صاغيتان فليسمع!!.

٢٠٠٤/٢/٢٢